

تَفْرِيعٌ

سَلَامٌ:

{ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ }

لِلشَّيْخِ:

أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُقَدِّسِي

* الشريط الأول *



التفريع العلمي
@convertatow

التفريع العلمي
@convertatow

تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}



تقدّم لكم:

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ}

السلسلة المرئية الأولى:

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

للشيخ الإمام المجدد أبو محمد المقدسي حفظه الله

التي يتحدث بها عن سيرة حياته

نشيد:

وتوحيدنا	عزة	المسلمين	به	قد	قهرنا	عنيذاً	ظلم
فلا	عصبة	تسبيح	الحياة	وتجعل	منها	دماء	لحوم



التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

الحلقة الأولى:

الاسم والنسب والدراسة والتدين والالتزام مع جماعة سرور

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اسمي الذي سماني به والدي "عصام" ولكني أحب أن أدعى بـ "عاصم" لأجل أنه اسم صحابي جليل وشهيد من شهداء الصحابة.

فأنا اسمي عاصم بن محمد بن طاهر بن محمد بن محمود بن سليمان الحافي العتيبي البرقاوي مولدًا وليس نسبًا، والمقدسي نسبة تشريف، فالبرقاوي ليست اسم عشيرة وإنما هذا نسبة إلى القرية التي ولدت بها؛ وهي قرية من أمان نابلس، قرية صغيرة من قرى نابلس ولدت بها، ولذلك اختلط على البعض من استشكل نسبي أنني كيف أكون حافي وبرقاوي، لأنهم يعرفون أن قبيلة عتيبة تتكون من عشيرتين؛ عشيرة "برقة" وعشيرة "رؤقة" يُدعون "رؤوقة"، ونحن نتنسب إلى الثانية التي هي "الرؤوقة" ولا نتنسب إلى "برقة"، وذلك لأن الحافي الرُّوقي العتيبي هكذا يقال ولا يقال إذا أردت أن أتكلم عن نسبي الحافي البرقاوي العتيبي، لكن لما اشتهرت بـ "عصام البرقاوي" نسبة إلى قريتي وليس إلى عشيرتي اختلط الأمر على البعض وهذا لبيان التفصيل أنني "برقاوي" مولدًا في هذه القرية، أما نسبةً فأنا "رُّوقي" وليس برقاوي ثم العتيبي.

والمقدسي اشتهرت بهذا اللقب في بداية كتاباتي عندما كنت أكتب، أول ما كتبت كتاب: "ملة إبراهيم"، رأيت أن اتخذ كنية من باب الاحتياطات الأمنية في أول الأمر حتى لا أعكر على نفسي، ولا أشدد على نفسي، ولا أضيق على نفسي في السفر للجزيرة وغيرها، فاتخذت هذه الكنية ابتداءً ولم أكن أعرف أنها ستلازمني طوال حياتي، فانتسبت إلى بيت المقدس تشريفًا كما هي عادة علمائنا ينتسبون إلى أشرف البقاع وأقربها إليهم فمثلاً ابن قدامة المقدسي هو لم يكن مسقط رأسه في "بيت المقدس" ولكنه أصلاً من "جماعيل"¹، و"جماعيل" قرية من قريتنا "برقة" ولكن العلماء طريقتهم أنهم ينتسبون إلى أقرب البقاع ما هو أشرف البقاع يكون

١ تسمى اليوم: (جماعين).

تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

قريبًا إليهم، كما يقال "المكي" وربما كان من القرى القريبة من مكة وليس من نفس صميم مكة وهكذا.

فأنا انتسبت إلى بيت المقدس تشريفًا من باب أننا نتشرف بالانتساب إليها، وهي أولى من أن نقول الفلسطيني مثلاً، فقلنا المقدسي كان ذلك في مقدمة كتاب: "ملة إبراهيم"، ثم ذهب هذا اللقب ولم أعد أعرف إلا به بسبب الكتابات.

طبعًا كان تاريخ ولادتي في قرية "بُرقة" سنة: (١٣٧٨) من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الموافق لـ (٣/٧ سنة ١٩٥٩).

وكان والدي آنذاك شأنه شأن كثير من أهل تلك البلاد يذهبون إلى الخليج ليتكسبوا سعيًا وراء الرزق فبعد أن صار عمري ثلاث سنوات تقريبًا أخذنا الوالد نحن والعائلة، وأظن أنني لم يكن عندي من إخوة ذلك الوقت إلا أنا وأخت ووالدي.

فالتحقنا بالوادي في الكويت وهناك نشأت نشأتي في صغري وبداية شبلي وتعليمي الابتدائي والمتوسط والثانوي كان في الكويت، وخلال هذه المراحل أو في آخر هذه المراحل تحديدًا في الثانية ثانوي قبل التوجيهي الذي يسمى توجيه عندنا هنا، قبل التوجيهي بسنتين بدأت مراحل الالتزام والتدين عندي.

وشأن والدي كشأن سائر الناس في هذا الزمان يحبون لأولادهم أن يكملوا الدراسة الأكاديمية، ويتمنون أن يكون أولادهم مهندسين أو أطباء، فكانت أميته -رحمه الله- أني أكمل الهندسة ونحوها، فبعد التوجيهي ذهبت أول أمري إلى يوغسلافيا لإكمال الدراسة الجامعية هناك أنا واثنين من الشباب الذين كانوا من جماعة محمد سرور، تقريبًا كنا في مرحلة دراسية واحدة، وكان معنا الشاب الذي كان سببًا بفضل الله عز وجل بمدايتي، وشاب آخر أيضًا كان من نفس الأسرة التي كنا فيها في الجماعة كما سيأتي الكلام عليه بعد ذلك.

فذهبنا إلى يوغسلافيا للدراسة بناءً على توجيهات محمد سرور؛ لأنه كان له هناك بعض الأفراد والأصدقاء والاتباع لجماعته، فدلنا على مكان نجد فيه أصدقاء، فذهبنا بالفعل إلى اليونان وتقابلنا بهؤلاء، وهم الذين أرشدونا حتى وصلنا إلى سرايفو ولم يكن آنذاك التقسيم الحالي هذا

تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

الموجود: "صربيا" و"البوسنة والهرسك"، وإنما كانت جمهورية يوغوسلافيا، فذهبنا إليها وبالفعل كانت أحسن من غيرها من حيث أن فيها مساجد وفيها مسلمون، ولكن الأجواء بالنسبة لشباب ملتزمين حدثاء عهد في الالتزام والتدين لا شك أنها أجواء أوربية تبقى، فرأينا مظاهر الانحلال والفساد وكذا شأنها شأن أوروبا كلها، فانزعجنا جدًا من هذا الأمر وبدأنا الدراسة بالفعل وسجلنا في معاهد لكي ندرس الدراسة اليوغوسلافية وشرعنا في ذلك، ولأن الدراسة في يوغوسلافيا كانت معقدة بطريقة ليست كسائر الجامعات لا بد أن تعيد كل برمجتك على الطريقة اليوغوسلافية؛ فأنت أولاً لن تدرس باللغة الإنجليزية وهذه عقبة، أنت درست طوال مرحلة الثانوية والمتوسطة اللغة الإنجليزية تمهيداً للدراسة الأكاديمية باللغة الإنجليزية فتفاجأ هناك أنك تحتاج إلى دراسة اللغة اليوغوسلافية لأن الجامعات هناك لا تدرّس إلا باللغة اليوغوسلافية، فهذه أول عقبة، ولذلك سجلنا في المعاهد التي تدرّس اللغة اليوغوسلافية، وكنت أنا طبعاً ذاهب هناك بناءً على رغبة والدي؛ كانت أمنيته أني أدرس الهندسة أو شيء نحوها، فكنت نازلاً على طلبه، ولكن فوجئنا بأنه طريقة الدراسة معقدة، ولا يكثرثوا بمعدلاتك التي جئت بها في الثانوية أو التوجيهي أو غير ذلك، وإنما في كل جامعة تريد أن تتقدم لها تعطيك كتب في التخصص الذي تريد أن تدخل فيه وتدرس هذه الكتب وتمتحن فيها فإن جبت معدل يناسب في الجامعة فستقبل بهذا التخصص الذي جئت تدرسه، فنحن من البداية لما رأينا المسألة تحتاج إلى دراسة اللغة اليوغوسلافية، ورأينا أناس صار لهم ثمان سنوات وتسع سنوات وعشر سنوات في تخصصاتهم، ورأينا أن الطريق طويلة في هذه البلد، وأن الدراسة لا تناسبنا في هذا المكان، فضلاً عن الأمر الذي أزعجنا أكثر وأكثر وهو الفساد المنتشر والتبرج والانحلال والاختلاط، فكان أجرونا وأولنا قطعاً لهذا الأمر هذا الشاب الذي تأثرنا فيه وتدينا على يديه فرجع من هناك إلى الأردن، وأنا مكثت قليلاً استخرت الله وقررت أيضاً بعده الانسحاب من تلك البلاد ورجعت إلى الأردن كذلك، ثم لحق بنا الثالث، يعني كلنا الثلاثة لم تناسبنا الدراسة لأنها كانت محاولة، فلما رجعت للأردن وجدت أنه ينتظرني قبول في العراق في جامعة الموصل، قبول في كلية العلوم، فالوالد كان لا يريد هذا، يريد هندسة أو شيء نحوها، فأنا حاولت أقنعه أن هذا المكان قريب وتكاليفه أقل، والدراسة كلها دراسة، والعلوم وغيرها ليس بها بأس، فذهبت واسترضيته في هذا الأمر على أنه أقرب وأسهل، وذهبت إلى جامعة الموصل والتحقت بها، وبدأت أدرس علوم بيولوجي هناك، تخصص بيولوجي، درست فيها تقريباً سنتين.



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

وفي السنة الثالثة - كما سيأتي - عندما بدأ يقوى تأثيري بجماعة جهيمان، وكانوا ينكرون عليّ كيف تدرس في جامعة مختلطة، وكيف تجلس بين النساء، وكيف يدرّسك نساء؟! اخترت الخروج من الجامعة على خلاف بيني وبين جماعة محمد سرور، لا، ابق نحن كل مشايخنا درسوا في الجامعات؛ فلان درس في سورية، وفلان درس في كذا، هل أنت خير منهم وغير ذلك من أمور، كان بدأ الاحتكاك لأجل هذا الأمر، وأنت لا يجوز أن تخرج بدون إذن.

فأنا بدأت أراسل المشايخ وأكتب في هذا الأمر لأقنعهم بأني أنا هذه وجهة نظري الشرعيّة، وأنا لا يجوز لي أن أدرس بها إذا كنت إنسان مسلم وداعية وطالب علم فكيف أبقى أجلس بين النساء، كان هذا تأثيري بجماعة جهيمان في ذلك الوقت ظاهراً، فاخترت هذا الأمر بعد أن راسلت المشايخ الألباني وابن باز وغيرهم وأتيت بفتاوى بأن الجامعات المختلطة محرمة.



حتى ما زالت عندي لحد الآن برقية من الشيخ ابن باز يجيبني فيها على سؤالي بأنه لا يجوز لك البقاء في جامعة مختلطة، ثم قال ونحن مستعدون للشفاعة لك لتكميل دراستك في إحدى الجامعات السعودية، فلما جاءني هذه الرسالة وقتها كانت تقريباً أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وكنا نرى الطائرات تقصف والحرب مشتعلة.

برقية الشيخ بن باز - رحمه الله - إلى الشيخ أبي محمد المقدسي

فأخذت أوراقي وعلاماتي التي درستها ورجعت إلى الكويت أقنع الوالد تحت دعوى الحرب مشتعلة لأني عرفت

أنه سينصدم الآن!!

رجعت من يوغسلافيا ثم الآن أرجع من العراق، حقيقة كانت طموحاتي وآمالي منذ أن انتهيت من التوجيهي

وأمنيّتي كانت أني أدرس في المدينة المنورة، كنت أتمنى أن أدرس في المدينة المنورة دراسة شرعية ليس لأجل الدراسة الأكاديمية ولكن لأجل المكوث في المدينة المنورة وطلب العلم على المشايخ فقد كان آنذاك موجود ولا زال الشيخ الشنقيطي صاحب أضواء البيان وكان فيه مجموعة من المشايخ الذين يتمنى كل إنسان أن يطلب العلم عليهم، فكنت أتمنى لو أني ألتحق بالجامعة الإسلامية كمبرر



التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

للإقامة في المدينة، وكنت أعزم وأحدث بعض الأصدقاء أقول لو حصل هذا لي سأجعل السنة سنتين في الجامعة، سأؤخر نفسي لأجلس أطول مدة في الجامعة الإسلامية، هكذا كنت أحلم وهكذا كنت أخطط، فلذلك لما جاءني هذه البرقية من الشيخ ابن باز بادرت مباشرة إلى الرجوع إلى الكويت وأقنعت والدي أن السبب هو الحرب لأنه صعب جداً تقنع أبوك أنك تركت الجامعة لأجل الاختلاط وكذا، هذا أمر صعب عند أهاليها كما هو كان صعب عند الجماعة نفسها التي أنا كنت معها، جماعة واعية جماعة محمد بن سرور واستصعبوا هذا وعارضوه، فكانت هذه المرحلة تقريباً مرحلة الدراسة لأنني بعد ذلك أخذت هذه الأوراق -علاماتي- وأخذت برقية الشيخ بن باز وذهبت إلى المدينة وقابلت الشيخ بن باز وكتب لي تزكية إلى الجامعة وأُرفقت فيها علاماتي وكذا حتى أقدمها، وهذه كانت هي المرحلة التي استفدت منها كثيراً بمكوثي في المدينة المنورة مُدّد كانت طيبة.

وأنا منذ أن جئت إلى المدينة المنورة ذبت مع طلبة الجامعة الإسلامية فبدأت أداوم في الجامعة رغم أنني لم أسجل فيها بعد، فكنت أداوم مع الطلبة وحضرت دروس لهم في داخل الجامعة، وكنت أبات في السكن؛ سكن الطلبة في عمارة تسمى: "عمارة السبيعي" قرب البقيع، وفي السكن الذي كان داخل الجامعة تعرفت على طلبة كثير هناك بعضهم من مصر، بعضهم من الكويت، بعضهم من الجزيرة، كنت أبات معهم في سكنهم، كنت أحضر محاضرات في الجامعة معهم، أداوم وانتظر قبولاً لم يتيسر لي بعد ذلك القبول الرسمي، ولكن هذا المكوث هذه المدة، مكثت فيها في الحرم مدة طويلة، عكفت فيها على الدراسة على المشايخ الرسميين وعلى المشايخ الذين يدرسون في الجامعة وعلى مشايخ آخرين كانوا يدرسون الطلبة فوق عمارة السبيعي التي كانت سكن للطلبة هناك، كان يدرس الشيخ "المغراوي" الآن هو رأس المداخلة في المغرب، حضرت له دروس في شرح الترمذي هناك، وأيضاً حضرت لـ"علي مشرف" دروساً، وحضرت لكثير من المشايخ في الحرم المدني سواء كان أبو بكر الجزائري، سواء كان على مشايخ آخرين مغمورين من يمنين وغيرهم وأريتيرين، وحضرت للشيخ بن باز كلما كان يأتي إلى هناك، وأيضاً في مكة كنت أحضر له دروساً، وعكفت على مكتبة الحرم المدني التي تعرّفت عليها من خلال مكوثي في الحرم، وعلى مكتبة الجامعة الإسلامية وكانت تكثر فيها المخطوطات، كنت أتردد بين المكتبتين، وأول ما رأيت كتاب: "الدرر السنية" لعلماء نجد وجدته بنسخة وطبعة قديمة في مكتبة الحرم المدني فلفت انتباهي وبدأت أطلعه وعكفت عليه هذه الفترة فكانت أول اتصال لي مع كتب أئمة الدعوة النجدية هو هذا الكتاب، فرحت فيه كثيراً، وجدت أنه

تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

يرد على كثير من المسائل القريبة من عصرنا، انتبهت إلى كلامهم على عساكر الدولة المصرية لما هجموا على الدرعية واستعان بهم بعض آل سعود على أخيه وكيف أفتوا بالفتاوى التي تكفر هذا الجيش وكل من استعان بهم، واطلعت على فتوى الشيخ "سليمان بن عبد الله بن الشيخ عبد الوهاب" في موضوع: "حكم موالاة أهل الإشراك"، وكتاب "حمد بن عتيق" وغير ذلك.

تقريباً هذه مراحل الدراسة التي درستها أنا لم أكمل الدراسة الجامعية، كنت حريصاً على أن اتخذ الدراسة الجامعية وسيلة للبقاء في المدينة أكبر مدة ما تيسر لي ذلك، كان يبدو أن العلامات والمواد التي درستها في العراق كانت مواد علمية وأنا جئت أدرس دراسة شرعية وتعتسر قبولي، لكنني استفدت من مكوثي في المدينة.

على كل حال هذه تقريباً هي مراحل النشأة من حيث الدراسة، أما من حيث الالتزام والتدين فأنا بدأت أتوجه التوجه الديني تقريباً من مرحلة ثاني ثانوي كان عمري آنذاك تقريباً تستطيع أن تقول ستة عشر سنة فبدأت أتوجه التوجه الديني، كنت قبل ذلك الصلاة شأني شأن كل أبناء عمري ربما أصلي وأقطع والالتزام ليس بقوي، ولكنني في هذه المرحلة تعرّفت على بعض الشباب الذين كانوا ينتظمون مع جماعة محمد سرور، وكان هناك شخص بارز فيهم، هو أثر علينا في المدرسة كانت له وقفات في وجه المعلمين في بعض المسائل، كانت شخصية مؤثرة، وهو الذي تأثرنا بتدينه، وكانت الجماعة جماعة محمد سرور جماعة ذكية تعرف كيف تنظم الشباب وكيف تختار الشباب، وهي برزت في مرحلة كان وقتها شخص أو شيخ معروف في ذلك الوقت اسمه: "حسن أيوب".

هذا الشيخ كان إمام وخطيب مسجد قريب من منزلي اسمه: "مسجد الشيخة بدرية"، فكنا نذهب ونصلي الجمعة عند هذا الشيخ وكانت له نشاطات ودروس، وكانت خطبه نراها نحن في ذلك الوقت أنها خطب حماسية تتكلم على خيانات الحكام العرب ويتكلم فيها على نصرة أهل فلسطين ويدعو إلى الجهاد وإلى القتال حتى إنه خرج كثير من الناس من مسجده إلى لبنان والتحقوا ببعض التنظيمات الفلسطينية العلمانية بسبب ما حمّسهم به هذا الشيخ دون أن يعطيهم الحلول، ذهبوا وقاتلوا مع فتح وقاتلوا مع غيرها حماساً من خطب الشيخ، وأنا أعرف أناس حصل معهم هذا وذهبوا إلى بيروت وإلى لبنان وشاركوا في القتال بناء على إلهاب هذا الشيخ لمشاعرهم، ولكن لم يكن عنده راية معينة إسلامية آنذاك يوجههم إليها.



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

على كل حال نحن نشأنا في هذا المسجد في هذه الأجواء كنا نصلي عند هذا الشيخ ونسمع خطبه، وبالجهة الأخرى كان يؤثّر علينا ذلك الشاب الذي هو من منطقتنا أيضًا وكان في صفّي، تحديدًا في الفصل الدراسي الذي كنت فيه، فكان يؤثّر علينا في الالتزام والتدين.

وجماعة محمد سرور بدأت انطلاقتها في الكويت تقريبًا آنذاك، في هذه الفترة لأنه قبل ذلك كان محمد سرور في السعودية في الجزيرة، وكانت له نشاطاته ودعوته وحركته، ولأجل أنه إنسان نشيط بين صفوف أهل الجزيرة وغيرها قام الإخوان بالتضييق عليه، حتى إنه أخبرني بأن الذين عملوا على إخراجهم وتسفيرهم من السعودية هم الإخوان المسلمون السعوديون وتحديدًا ذكر لي اسم "مناع القطان"، أنه هو الذي تسبب في تسفيره وأنه حذره من أن ينشط في التنظيم بين صفوف السعوديين، فلم يأبه به وبتحذيراته فعمل على تسفيره بإخراجه، هكذا أذكر في ذاكرتي سمعت ذلك منه، من محمد سرور نفسه، تقريبًا كان قريبًا من هذا العهد في تلك المرحلة فبدأ هو وشخص آخر اسمه: "غازي التوبة" أيضًا له جماعة مشابهة لجماعة محمد سرور كانوا ينشطون في صفوف الشباب الذين يأتون ويتجمعون في مسجد حسن أيوب أو المسجد الذي فيه نشاط حسن أيوب، حتى إنهم في مرحلة من المراحل عرضوا على حسن أيوب أن يعمل تنظيم، فالرجل رفض وقال أنا دعوتي علنيّة، وأنا لا يوجد عندي تنظيم، ولا يوجد عندي سرّيّة، فلذلك من تلك المرحلة أخذ كل واحد من هذين الشيخين مجموعة من الشباب الذين حول حسن أيوب وفي مسجد حسن أيوب وجعل له تنظيمًا خاصًا في تلك المرحلة تقريبًا، فكنا نحن شباب صغار آنذاك ولا نعرف من هذه التنظيمات شيء، كنا نطلع رحلات ونأتي نشاطات المساجد ونحو ذلك، فكنا من نصيب محمد سرور بناء على أن أصدقاءنا المقربين إلينا هم من جماعة المقربين لمحمد سرور، فأنا وبعض الشباب كنا في تلك المرحلة لا نشعر من ذكاء هذه الجماعة التي أشهد به لها من عملها التنظيمي أنهم لم يكونوا يتعاطون العمل التنظيمي كما يتعاطى كثير من الشباب اليوم بسطحية ودروشة؛ ما يأتيك ويقول لك عندنا تنظيم وعندنا أمير تريد تبايعه؟

حتى إنني أذكر جيدًا كنا في مراحل التنظيم وكان عندنا مسجد نصلي فيه اسمه: "مسجد الخلف" -اسم عائلة الذي بنى المسجد- وكان هناك مسجد آخر اسمه: "مسجد الراس القديم" على أساس منطقة في السالمية قديمة اسمها: "الراس"، ولكننا لم نكن نسميه بهذا الاسم كنا نسميه مقابل



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

الخلف نسميه: "مسجد السلف"، كان عندنا مسجد السلف ومسجد الخلف، فكنا نصلي في مسجد الخلف وأذكر بياناً إلى نفسيتنا أو إلى فهمنا للعمل الدعوي آنذاك وكيف أننا كنا ننظر إلى الجماعات الأخرى الإخوان والسلفيين ننظر إليهم من علو، إن نحن أفهم منهم تنظيمياً ونحو ذلك.

لأنه كان يأتينا "خالد مشعل" من حوالي، وكان من سكان حوالي، وكنا نعرفه آنذاك كان طالب في الجامعة أظن، كان يُعرف باسم "خالد عبد الرحيم"، لم يكن يُشتهر باسم: "مشعل"، كان يأتينا هكذا يلبس الحطة البيضاء، وكنا نعرف أنه من الإخوان المسلمين، فأول مرة تعرّفنا عليه جاءنا المسجد يسأل يقول من أمير هذا المسجد يا شباب؟ فأخذنا نضحك عليه، إنه كيف يسأل عن أمير المسجد؟! ونضحك على طريقة الإخوان إنه يكون هناك أمير معروف في المسجد، وهناك أناس يرون هذه الطريقة العلنية في العمل التنظيمي، فأخذنا نضحك عليه وننتدّر بطريقة سؤاله، يعني هل لو كان هناك أميراً للمسجد سنقول لك من أمير المسجد؟!

يعني أننا كنا نظنّ أن جماعة محمد سرور في العمل التنظيمي أفقه وأفهم من هؤلاء، هكذا كنا ننظر للأمور، على كل حال هم كانوا عندهم شيء من ذلك، يعني مثلاً على سبيل المثال؛ نحن درجنا في هذه الجماعة وكنا نخرج رحلات ونحضر دروس ونحضر دروس في المسجد، وينتقي الشاب الذي يعمل الدرس العام في المسجد -ربما كان درس قرآن، قراءة قرآن فقط- فينتقي من هذا المجلس العام ربما بعض الأفراد الذي هو ينتخبهم ويقدر أنهم يصلحون لأن ينقلهم إلى درس خاص في بيته، فينقلنا إلى درس خاص في بيته ويعمل لنا درس، يتفق معنا أن نحفظ جزء عمّ، ويبدأ يفسّر لنا الآيات التي نحفظها يستعين بتفسير الظلال وتفسير ابن كثير، ويقترح علينا كتاب مثلاً: "صفة صلاة النبي"، يدرّسنا إياه لنصح صلواتنا ونحو ذلك.

وحقيقة هذه الجلسة التي انتقلنا بها من المسجد إلى بيته أنها جلسة تنظيمية، وأنها بدأت تتبلور أسرة عند هذا الشاب، ونحن لا نرى خلف ما وراء هذا الشاب، هذا الشاب لا يشتغل على رأسه، وإنما يُوجّه من شخص آخر له، يجلس هذا الشاب بأسرة ماثلة معه، هذه الأسرة كل شاب منهم ينتقي خمسة من المسجد ويدرّسهم وهكذا، هذه الحقيقة وهذا الأمر نحن كنا في ذلك المستوى لا نعرفه ولا نُعرّف به،



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

ولا يقال لنا أنتم في جماعة ويعرض علينا: أنتم ما رأيكم أن تعملوا معنا في تنظيم؟ وكما يفعل الآن كثير من الشباب الدراويش.

لا، تجد نفسك ترتقي في المراحل التنظيمية وتذهب رحلات، وتفاجأ بأشخاص لا تعرفهم، كنا نرى مرّات محمد سرور في بعض الرحلات، نرى شخص اسمه الآن الدكتور "سامي الدلال" في بعض الرحلات، وهو من رؤوس جماعة محمد سرور، تراه قدراً هكذا كيف رُتّب لهذه الرحلة، تأتي معنا خيام نصبها، ونتعاون وناس تطبخ وناس كذا، وبعد ذلك نمشي في برنامج وضع لنا؛ لعب بالصباح، سباحة بالعصر، الظهر فيه درس يدرسه هذا الشاب ثم نفاجأ بهذا الرجل الذي بعد ذلك عرفنا أن اسمه أبو عصام، وبعد ذلك عرفنا أنه محمد سرور، ويأتينا ويعطينا درس ويذهب، ونحن أصلاً لا نخرج إلا للرحلة وإلا للهو وللعب ولكن حقيقة كانت هذه مراحل تنظيمية يسار بنا فيها وننتقل بذلك هذه الجماعة من خلالها، حتى أصبحنا في مرحلة لاحقة نتعصّب لهذه الجماعة، وندعو إليها ومسكنا مسؤوليات ومساجد، وكلّفنا بتكاليف، ولم يقل لنا في يوم من الأيام أن هذه الجماعة وأميرها فلان وأنتم لماذا لا تنتظموا أو نحو ذلك مما يفعله كثير من الشباب البسطاء الذين يتعاملون مع العمل التنظيمي بسطحية وبدروشة.

هكذا كانت تقريباً مرحلة جماعة محمد سرور أو بداية هذه المرحلة.

طبعاً كانت هذه الجماعات تعمل بأريحية كاملة في الكويت لأنه في تلك المرحلة لم يكن هناك أي صدام بين الجماعات الإسلامية وبين الحكومات وكان المجال مفتوح تماماً لأنشطة هذه الجماعات حتى إن الإخوان المسلمين كانت لهم جمعية رسمية التي هي جمعية الإصلاح الاجتماعي للإخوان المسلمين، وكانت لهم مجلة المجتمع ولهم نشاطات ولهم تواجد وكان هذا الأمر في السبعينات، وكانت بداية الصحوة، كان بداية ما يعرف بالصحوة لم يكن هناك ضغوط من الحكومة بالعكس كان مثلاً "حسن أيوب" هذا يتكلم ويصدع بتخوين الأنظمة العربية ويتكلم بالحكام ونحو ذلك ولم يكن يُساءل كان يحبه الناس ويمتألم مسجده ويتميز عن سائر المساجد ولم يكن هناك ضغوطات من الحكومة على الجماعة الإسلامية آنذاك، فلذلك كان هذا مما يُسهل عملهم التنظيمي، على كل حال هذه المرحلة تقريباً كانت بداية مرحلة التوجه، ولم يكن الأهل في البيت الوالد والوالدة صحيح أنهم لم يكونوا يوجهوننا التوجيه الديني المكثف، ولكنهم في نفس الوقت لم يكونوا يمانعوا ولم يصدونا عن الصلاة



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

ونحوها، ربما طبعًا الوالد ينزعج من التأخر في الليل أو مثلاً الخروج بهذه الرحلات من التغيب عن البيت من الانشغال بالرحلات عن الدراسة، هذا كان الأمر ربما ينزعج فيه لكن لم يكن هناك خوف كما هو الآن عند كثير من الناس بأنه إذا مشى ابنك في المسجد مع شباب أنه تخشى عليه التنظيم وتخشى عليه الاعتقال وتخشى أشياء من هذا، لم يكن هذا موجودًا وهذا مما سهل اتصالنا بالجماعات الإسلامية آنذاك، فكان لي معرفة في الشباب الذين في منطقتنا من السلفيين، كانوا آنذاك في منطقتنا سلفيين، هؤلاء المجموعة السلفية التي انتقتنا في مرحلة لاحقة التحقت بجماعة جهيمان، فهم الذين عرفتهم من صغري وآنذاك في مرحلة متأخرة عندما تركت جماعة سرور هم الذين سهلوا عليّ الالتقاء ومجالسة ومصاحبة جماعة جهيمان، لأنهم كانوا أصحابي في الصغر.

في هذه المرحلة أيضًا أثناء الدراسة آخر سنتين في التوجيهي درست في المدرسة على شيخ من مشايخ السلفيين معروف مشهور آنذاك اسمه: "عبد الرحمن عبد الخالق" فكان هو مدرس مادة الدين، وهذا كان من أعلام الدعوة السلفية بالكويت معروف وكان يدرسنا مادة الدين في المدرسة كنا نحب تلاوته وقراءته وكان هو يؤم بنا في المسجد في صلاة الجماعة في المدرسة وعندما نضحنا ونضح فكرنا كانت لنا جولات ومناقشات مع هذا الشيخ لاحقًا.

أيضًا في هذه المرحلة كان هناك احتكاك في جماعة القطبيين لأنه كما قلت من قبل كنا نحن نصلي في مسجد اسمه مسجد خلف وكان إمام مسجد خلف في تلك المرحلة هو رجل نحن كنا نكن له إعجاب مع أنه لم يكن من جماعة محمد سرور لكن كنا ننظر له بنظرة الإعجاب كون هذا الشخص سجن مع سيد قطب وهو من المقربين لسيد قطب، قرأنا في رسالة صغيرة كتبها سيد قطب بعنوان: "لماذا أعدموني؟"، ذكر في رده على بعض الأسئلة عن بعض الأمور التي وردت في الظلال وفي كتابات الشيخ سيد قطب أنه ربما تعني تكفير المجتمعات والناس وكذا.

فلما رد على هذا السؤال قال إنَّ أعرف من يفسر أقوالي أو أعرف الناس بمعاني كلامي أو مدلولات كلامي هم خمسة فذكر منهم هذا الرجل الذي كنا نصلي خلفه واسمه: "السيد يوسف عيد"، وكان هذا الشيخ "سيد عيد" هو إمام المسجد هذا إمام مسجد الخلف في الفترة التي كنا نحن فيها مع محمد سرور، فهذان الشيخان تقريبًا كانوا محل إعجاب لنا نحن في مرحلة الشباب، محمد سرور الذي كنا نحن منتظمين في جماعته وبدأنا نتعرف عليه شيئًا فشيئًا كلما ارتقينا في التنظيم، ولسيد عيد الذي كنا نصلي خلفه، كلا الرجلين



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

كانت لهما صفات تجذبنا وتحببنا فيهم كشباب وذلك أن محمد سرور على سبيل المثال كان يتكلم في هذه الأنظمة وينتقد كل من يكون له علاقة مع هذه الأنظمة، وكان دائماً يذكر بأنه يجب على الدعاة أن يقطعوا جميع الوشائج والصلات مع هذه الأنظمة، وكان يفخر بنظافته من هذه الجهة وأنه ليس له اتصال مع الأنظمة، وأنه لا يتعامل مع الأنظمة، وينتقد على كثير ممن يذكرون أمامنا بأنه فلان يشتغل مسؤول كبير في وزارة معينة، وفلان له اتصال مع الحكومة الفلانية، وفلان أخذ من الحكومة الفلانية وهكذا، فكان يرسخ في ذهننا أن البعد عن هذه الأنظمة التي هو كان يكفرها من حيث الجملة ولكن التفاصيل لم تكن واضحة عنده، على سبيل المثال قضية الجيش والشرطة والبرلمانات لم تكن على الأقل -إذا أردنا أن لا نظلمهم- في تلك المرحلة لم تكن واضحة، فأنا عندما كنت متأثر في جماعة جهيمان أول مرحلة بدأت أقول أن الجيش حرام والمشاركة في الجيش حرام، كانت جماعة جهيمان تحرم المشاركة في الجيش والشرطة لأجل حلق اللحية ولأجل بعض المسائل الفروع ليس لأجل أنهم من أنصار الطواغيت ونحوها، فأنا كنت أنكر على بعض أفراد الجماعة أنهم كانوا في الجيش أيضاً أقول أن الجيش حرام وكذا، فهم هذه المسألة لم يكونوا يستوعبونها فكيف لو طرحنا مسألة التكفير، تكفير أنصار الطواغيت، لم تكن هذه أصلاً مطروحة عندهم، حتى البرلمانات لم تكن واضحة عندهم كانوا لا يشاركون في البرلمانات من باب أن هذه المشاركة ليست وسيلة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة، وتفضح قواعدها، وتفضح أفرادنا، وتكشف الدعاة أثناء الانتخابات والتصويت يُمَيِّزُونَ ويصنفون ونحو ذلك من الأمور التكتيكية وليست الأمور الشرعية.

فالشاهد رغم هذا القصور نحن لم نكن قد نضجنا آنذاك لكن مجرد تكفير هذين الشيخين للأنظمة، والكلام على الحكم بغير ما أنزل الله وذمه وبيان كلام سيد وكلام العلماء وكلام ابن كثير.

أيضاً محمد سرور مثلاً كان وسطاً، محمد سرور كان يتوسط بين منهج الإخوان وبين منهج السلفيين، كان يدرسنا الكتب السلفية مثلاً على سبيل المثال كان يحببنا في كتب الألباني، كان عنده مكتبة اسمها: "دار الأرقم"، مكتبة دار الأرقم يبيع الكتب فيها، فكان دائماً يحثنا على شراء السلسلة الصحيحة والضعيفة وكل ما يكتبه الألباني، هو الذي دفعنا وحببنا لقراءة كتب الألباني، فكان توجيهنا منه هو توجيه سلفي، كان في الدروس يدرسنا: "صفة صلاة النبي"، وهو بنفسه درسني: "كتاب التوحيد"، كتاب التوحيد



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

للشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان يشرحه من كتاب: "تيسير العزيز الحميد"، هو الذي دلنا على هذه الكتب وعرفنا بها.

فتوجهه كان سلفي، وإن كانت العقيدة سلفية ولكن الناحية الحركية والتنظيمية كان لا شك أنه متأثر بالإخوان، لأنه أصلاً كان من طلبة "مصطفى السباعي" وكان يذكره لنا وكان يذكر لنا أشياء عنه ويذكر قصص عنه، وعن "مروان حديد" - رحمه الله - ومواجهته للنظام وتعذيبه وقتله فكان يجب لنا هذه الأشياء، وكنا شباب نحب هذه الأمور ولا نسمع بهذه الأسماء إلا جديداً، هذا من جهة محمد سرور، أما من جهة سيد عيد كونه سجن مع سيد قطب، ومن المقربين لسيد قطب، ومن زكاهم سيد قطب في كتابه الذي ذكرته، كان أيضاً تعلقنا فيه لكن لم يكن التعلق تنظيمي، لكن هو كان إمام مسجدنا وفي مراحل كنا نسمع له دروس في رمضان وفي غير رمضان، تجد كل كلامه ظلال يمشي على الأرض، كل كلامه يتكلم في الظلال.

وجماعة محمد سرور أيضاً لم يكونوا يفرطوا في هذا الجانب فهم إضافة إلى توجيهنا السلفي كانوا يدرسوننا كتب سيد، فعلى سبيل المثال من الكتب التي درسناها في الحلقات في أوائل توجهنا كتاب: "معالم في الطريق" لسيد قطب، وكان الشاب الذي يشرح لنا التفسير - عندما كنا نحفظ مثلاً في جزء عم وما بعده من الأجزاء - كان يشرح لنا التفسير بأن يستعين بتفسير ابن كثير وتفسير أو كتاب الظلال فكان يجمع بين المعاني العصرية والتفسير المعروف.

فهذه تقريباً كانت صورة نشأتنا مع الجماعة حتى إني أذكر أننا نرى أمثال "سيد عيد" والسلفيين وغيرهم ولكن احتكاكنا فيهم كان احتكاكاً أخف من احتكاكنا وتعلقنا في التنظيم، وكنت أذكر أنني سألت في مرة من المرات حتى محمد سرور سأله عن "سيد عيد"، وقلت له: هذا الرجل يقول عنه بعض الناس أنه تكفيري؟ فقال: لا، هؤلاء الإخوان يقولون عنه أنه تكفيري، هو ليس بتكفيري، هذا من تنظيم: (٦٥) تنظيم سيد قطب، أذكر هذا الكلام، وكنت أراه أحياناً يسلم عليه ويتودد بعضهم إلى بعض، ولذلك عجبت بعد ذلك عندما كتب محمد سرور لاحقاً كتابه: "الحكم بغير ما أنزل الله وأهل التوقف والتبَيّن" أشار إلى هذا الشيخ "سيد عيد"، وأساء إليه ببعض الأمور في كتابه، فرددت عليه في كتابي: "الرد الميسور على الشيخ محمد سرور"، كتاب غير منشور، هذا من كتي المكونة القديمة، فطبعاً هذا الكتاب أرسلته لمحمد سرور، بعثت له نسخة منه.



تفريغ سلسلة: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

تقريبًا هذه المرحلة التي الآن أتكلم فيها كانت مرحلة بداية الالتزام إلى ما قبيل ذهابي إلى الجامعة، فهذه المرحلة البدائية كان احتكاكي فيها مع جماعة محمد سرور ومع سيد عيد ومع بعض السلفيين حولنا، وكان تأثري وتوجهي مثلاً قراءة كتب الألباني، قراءة كتب الشيخ ابن باز، قراءة بعض رسائل ابن عثيمين ومشايخ الجزيرة، هذا كان توجهنا وهكذا كنا، فهذا كان ما يحوط بنا من الأجواء وكنا نترى خلاله، فلم ننشأ نشأة والله مثلاً تحريرية كلامية، أو ننشأ مثلاً نشأة في جماعة بدائية، لم ننشأ مثلاً مع جماعة تقول مثلاً بتأويل الأسماء والصفات، لا، نشأتنا كانت سلفية فجماعة محمد سرور علمتنا العقيدة السلفية في باب الأسماء والصفات، علمتنا ودرستنا كتاب التوحيد، عرفنا التوحيد منهم، عرفنا أقسام التوحيد منهم، المسائل التي يدرسها السلفي درسونا إياها، فحقيقة جماعة محمد سرور أنها جماعة متوسطة بين الإخوان والسلفيين، تنظيمها وحركتها من الإخوان المسلمين، وعقيدتها ونهجها سلفي، العقيدة التي تدرسها، فلذلك حبب إلينا الشيخ محمد سرور كما ذكرت كتب الشيخ ناصر الألباني، وعلى ما أذكر أنه في مرحلة من المراحل جاء إلى الأردن وقابل الشيخ ناصر وعمل له مقابلة نشرت آنذاك وفرغت في مجلة المجتمع الكويتية، وحتى لما زار الشيخ الألباني الكويت وعمل بعض الدروس حضرنا دروسه وجئنا وحرصنا عليها، وكذلك كان كل من جاء من المشايخ نحرص على حضوره، وكان لنا نشاطات مع الشباب نحضر دروس المشايخ المشهورين المعروفين في الكويت من كافة التيارات، لكن هذه لم تكن دروس تنظيمية، كالمحاضرات في المساجد؛ حسن أيوب في بداية توجهنا، خطب أحمد القطان، ربما تكون هناك نشاطات في جمعية الإصلاح الاجتماعي؛ معارض كتاب، بعض المحاضرات، بعض المهرجانات، نحضر دروسها.

كانت هذه بداية الالتزام، بداية التوجه، بداية الصحوة التي كان كل الشباب في ذلك العمر تقريبًا متوجهين لها.

ترقبوا قريباً - إن شاء الله تعالى -

الحلقة الثانية من السلسلة...

